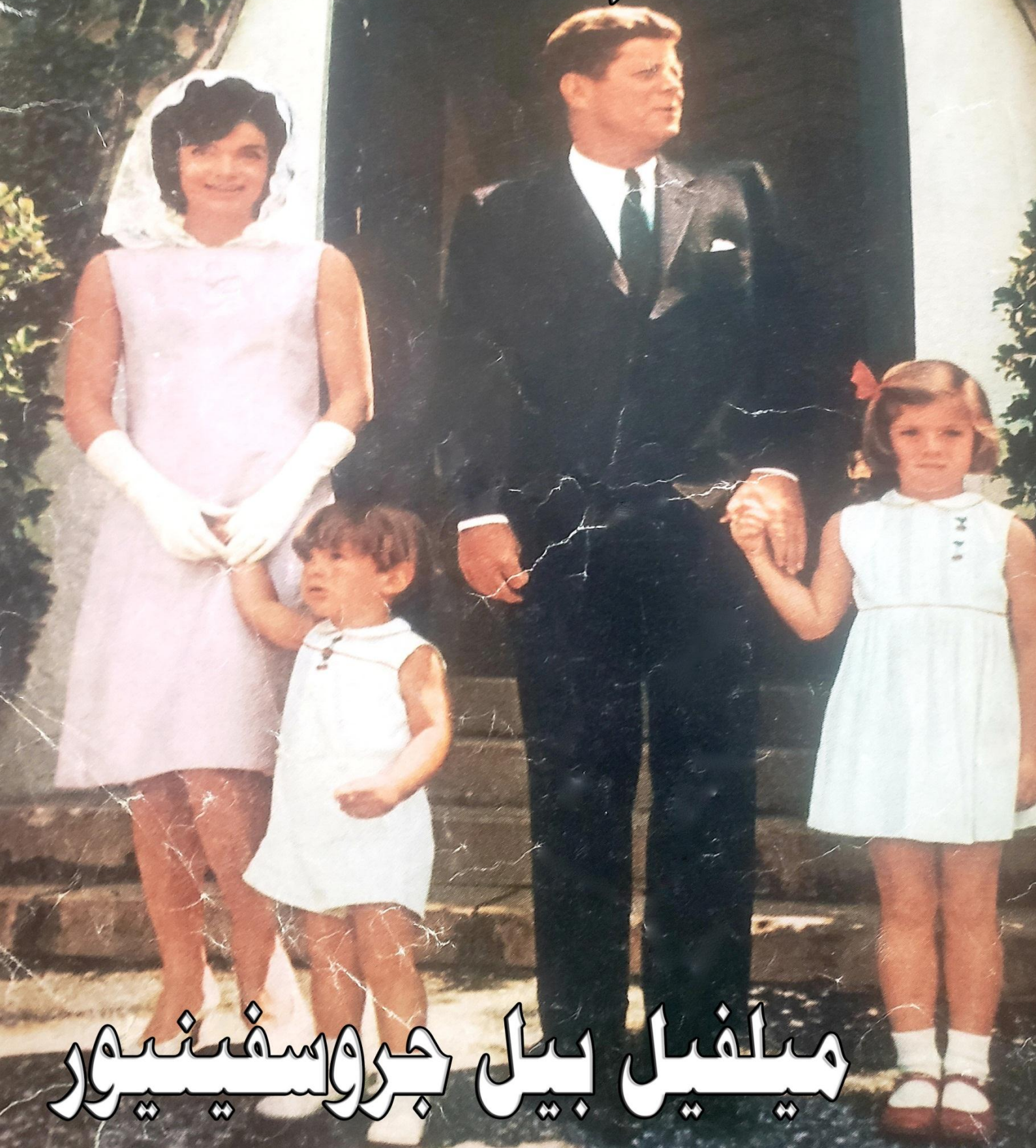


المقام الأخير



مليفيل بيل جروفسنيور

المقام الأخير

(تغطية مباشرة لجنازة الرئيس الراحل جون كينيدي عام

١٩٦٤م)

بقلم :

ميلفيل بيل جروسفينيور

(رئيس مجلس إدارة ناشيونال جيوغرافيك الأمريكية)

ترجمة :

نشوان زيد علي عنتر

٢٠٢٦م

ها هي الحياة ببالغ الحزن و الاسى الذي انتابها تودعك ، فلو
عشنا مائة سنة فستظل ذكراك محفورة في قلوبنا حالما غمرت
هذه الارض بعطفك و مغادرتك لها .

يمكن للمستقبل ان ينحني امام جون فيتزجيرالد كينيدي و
يضعه في مكانه الصحيح في كتب التاريخ ، لكن ستظل عالقة
في مخيلة الاولاد حينما يتقدم بهم العمر و يضحوا خلال
مسافة من الزمن تزيد على الالفى سنة رجال و سيقولون
لأنفسهم حينها (اتذكره ، اتذكره عندما حضرنا الى منزله ،
جثة رئيسنا القتل قادمة من دالاس)

و سيتم تداول هذا الخبر في الحال مرارا و تكرارا كندائي
لجدي جروسفينيور البالغ من العمر ٩٢ سنة يخبرني بمنتهى
الجمال عن حاله كطالب شاب في كلية امهيرست في
ماساتشوستس حيث سافر بالحصان و القطار لزيارة ضريح
الرئيس الشهيد لينكولن .

لقد كانت امهيرست تشعر بالسعادة لاستقبال الرئيس كينيدي
قبل اربعة اسابيع على وفاته اخر حفلات التخرج فيها حيث
قال الشاعر ارشيبالد ماكلايش في ذلك الوقت :

(ربما تناسى سكان الريف خيار الانسان العادي في ان يقول
أي فرد منا كلمته بهذه المناسبة ، لكنهم سيتذكرون لسنوات
عديدة و بمرور الزمن ان الرئيس الشاب و اللطيف للولايات
المتحدة الامريكية تحمل مسئوليتها و وضع ثقلها التاريخي
على كتفيه ، و كيفما كان فسياتي اليوم الذي سنحتل فيه
مكاننا الصغير في العالم و نتحدث عن كتبنا و رجالنا و
تعليمنا .

حسن المسئولية المغروس في عقله و جسده :

و بعد رحيله الى الابد ، تحدث مضيغه و رئيس كلية امهيرست د/ كالفن . ه . بليمبتون الى الطلاب خلال خطابه في ذكراه السنوية الذي القاه هناك :

(كان هنا منذ اربعة اسابيع و رأيناه و سمعناه و تعرفنا عليه ، لقد كان واحدا منا ، بالنسبة له كان احدث خريج لدينا ، و الان فقد رحل ، لكنني افكر بان يجب ان نتحمل بكبرياء مصابنا الجلل عبر مزيد من الارادة ، و اظن اني رأيت منه اكثر مما تبقى منكم ، قدم الى منزلنا مرتين ، في المرة الاولى خلع معطفه و تحدثنا اليه بقمصانا الطويلة الاكمام و عن اديناور¹ و ماكنمارا² و ايزنهاور³ و القنبلة النووية ، كان على مستوى عال و جيد في اصغائه لنا ، ما الانطباع الذي ترك بصمته علي ؟ هكذا قالها روبرت فروست بمنتهى الخشونة ، لكنه يعبر ايضا على ان السيد كينيدي لم يمنحه الجدية في الشعور بعدم الاحترام او التقدير افضل من الشعور بالهدف من مهمته و اعماله الجادة ، فالجدية كآلية هي جميع

¹ كونراد أديناور المستشار الالمانى الاسبق و مؤسس جمهورية المانيا الغربية عام ١٩٤٩م و تولى رئاسة الوزارة فيها منذ العام ١٩٤٩م حتى عام ١٩٦٠م (المترجم) .

² روبرت ماكنمارا وزير الدفاع الامريكى الاسبق في حكومة الرئيس جون كينيدي (١٩٦١ - ١٩٦٣م) و ليندون جونسون (١٩٦٣ - ١٩٦٧م) (المترجم) .

³ داويت ايزنهاور : القائد الاعلى لقوات الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية (١٩٤١ - ١٩٤٤م) و الرئيس الثلاثون للولايات المتحدة الامريكية (١٩٥٣ - ١٩٦١م) (المترجم) .

الاهذاب الزائلة و الحلوة تسقط بقسوة من اجل العمل و
تشغيل العقل في التفكير و الحركة الجسدية .

((هو بلا شك اكثر جدية مما اتصور ، صحيح انه ولد غنيا ،
لكنه اجتهد اكثر من الفقير ، و لم تكن النعومة تعرف طريقا
الى حياته البتة ، و حين اصبح رئيسا للجمهورية و من ثم لم
يكن رئيسا رحيمًا رخوا مع ذاته البشرية ، فقد كان طموحا ،
لكن طموحاته الخاصة لم تكن من اجل مصالحه الشخصية ،
فقد كان انسانا حازما بطبعه ، معتدل في غذائه ، حتى جاد
في كلماته ، لم تكن خطاباته عاصفة و عدائية و ايضا
انعكست جديته في تصرفاته الشخصية ، ليس بساحر و لا
بسهل نعومة الصابون و تأثيراتها ، ولا جانب و لا تأثير ذو
اهمية افضل من احساسه القوي بالهدف المنشود دون ان
يملك الوقت اللازم لیسال نفسه عما اذا كان سعيد بذلك ام
لا ، و بينما مازلنا نذرف الدموع عليه ، دعونا نتذكر جديته ،
دعونا نجلد اخطائنا و رغباتنا الداخلية و الضيقة الساعية وراء
شهوات فانية و كسلنا))

فبينما خطب روبرت فروست في ملعب التنس الارضي امام
الملاء قائلا :

((نحن لم نكن فوقهم كي نرى ما اذا كانت الخطوط مستقيمة ، الا انهم سيلعبون التنس فيها ، دعونا نسعى لكي نعيش ليس فقط من اجل ان نظهار باننا احياء ، فها نحن سنوثق خطانا فيها و نقوي اجسادنا ، دعونا نتذكر ان نرسخ ذكرى رئيسنا العظيم الراحل في عقولنا و اجسادنا و ارواحنا ، دعونا نقف دقيقة صمت على مقامه العالي و من ثم نذهب و نواصل مشواره الذي لم يكتمل بعد))

إنتصارات شجاعة في نهاية الأسبوع الطويل :

بعد الجنازة ، القى الدكتور بليمبتون كلمة ايضا عن زوجة الرئيس الشجاعة ، نحن تحدثنا عن شخص عرفناه جيدا ، و الان دعونا نتحدث عن شخص لم نعرفه ، و من اجل ذلك و خلال نهاية الاسبوع الطويل كان هناك شخص اخر ، نجمة اخرى لعبت دورا مهما و التي لم يكن لديها وقت خلال الدفن او فرصة لتعلم من خصالها ، كان تحضيرها جميعا قد تم صياغتها بطريقة فنية رفيعة ، فلقد اعادت تزيين البيت الابيض و وهبت الموسيقى اليه ، فاضحت محبوبه لدينا ، تواكب و تطلع بنظرها الى السماء الزرقاء ، فلم تجزع من وفاة واحد من ابنائها ، و ها هو اطول نهاية اسبوع يضحك للحظة بابتسامة مشرقة و يقترب نعش زوجها مسجى

بين ذراعيها بينما ظللت روحه بأجنحتها عليه ، ثم وضعت
الخاتم في يد زوجها الراحل ، و بعد ذلك وقف بجانبها
الرئيس ليندون جونسون^٤ بعدما ادى اليمين الدستورية كرئيس
للجمهورية خلفا له ، و نرى موكبه بمعينة التابوت الموضوع
تحت المراقبة و من ثم يذهب قبة الكابيتول مع تغطية
كارولين و جون - جون :

((منذ الامس القريب قررت ماذا سيكون دورها الذي ستلعبه
في الحياة ، و ترقبت واجبها الحقيقي الذي عاشت من اجله
، لا احد منا سيلومها اذا انزلت في المنزل - لا احد منا
سيلومها اذا ارتدت النظارات السوداء او اذا تركت اطفالها
وراءها ، لكنها انتقلت من نصر الى نصر ، فكل شيء
سيعرض الشيء الذي بداخلنا لأي واحد منا عندما يكون
مخفيا عنا ، و يمكننا من خلاله جميعا ان نضحى فخورين من
اجله ، فمثل مأساة نظيره ابراهيم لنكولن ، دفعت خسارتنا
للرئيس كينيدي الرجال الى قولهم الشعر ممزوجا بدموعهم
الحارة ، فشاعر انجلترا العظيم و البالغ من العمر ٨٥ سنة
جون مانسفيلد كتب مراثيته المنشورة في صحيفة (التايمز)
اللندنية يوم الجنازة المشهود قائلا :

^٤ رئيس جمهورية سابق (١٩٦٣-١٩٦٧م) و نائب للرئيس (١٩٦١-١٩٦٣م) .

جل القلوب الحاشدة اقعدھا مقتل الزعيم

رئيسھا الشاب بابتسامة وجهه البشوش

فطريق الانتصار الدائر في حلبته المدهشة

قاده الى درب السمو المجيد ...

و في احدى برامج هيئة الاذاعة البريطانية (بي بي سي)

الخاص بالحدث الكبير عبر الفنانين الشباب فيه عن تعازيهم

القلبية الحارة و وظفوا بشكل عادي مواهبهم الساخرة بأناشيد

حماسية مستشھدين بكلمات قديمة استلهوها من وفاة

الرئيس في الحرب الاهلية :

ابحري بنا يا سفينة البلاد

ابحر بنا ايھا الاتحاد بقوة و عزيمة !

فالبشرية بمخاوفھا و امالھا نحو المستقبل

علقت مصيرھا الحابس للأنفاس بيد ملكھا))

قال شاب في لقاء خاص بالبي بي سي الذي اذيع في ال ٢٣

من نوفمبر :

((فعندما انتخب كينيدي منذ ثلاث سنوات كما لو كان قد

منحنا جميعا بعضا من حضوره الطاغي المعجز ، مر هذا

الاسبوع و كان شيئاً لم يحدث ، و فجأة تبدل كل شيء هناك
في واشنطن ، فالرجل المدهش الذي بدا على يميني تماماً
كان يعمل دون كلل في كل اتجاه اخذ فيهم منا ثقتنا و دعمنا
، و حينما فكرنا بهذا العالم ، اتخذنا منه صورة دافئة راسخة
في مخيلة عقولنا حول الرجل الذي حافظ على سلامة النهج
في دروبنا ، و الان نفاجا ان حاضرننا قد رحل بعيدا عنا
((.

قال اخر ((عندما وصلتنا الاخبار من قبل عبر موجز الثامنة
مساء الجمعة الماضية ، اكثر من الف شخص في جميع
انحاء لندن نزلوا من الحافلات و مترو الانفاق و سيارات
الاجرة و مشوا صفا واحدا صوب السفارة الامريكية في ميدان
غروسفينور الذي غاص بهم ، في برلين اضطر الناس هناك ان
يقوموا بأمر مماثل حيث طلب عمدتها ويلبي براندت ان
يضعوا شموعا مضيئة في نوافذهم المظلمة ، ما هي الا دقائق
حتى اناروا جميع ارجاء المدينة ، و في موسكو اذاعت
اذاعتها في الثامنة و خمس دقائق قطع برامجها و اعلان
الخبر) (

و فيما بعد اذاعت هيئة الاذاعة البريطانية اغان حزينة غنتها
احدى المطربات تعود الى الغناء الشعبي الانجليزي الملحمي
:

" شاب معتلي حصانه رفع راسه الى اعلى

تحت شمس تكساس

دون ان يخمن احد ان الرجل المجروح كثيرا

ستهشم البندقية راسه

يا الله ، ستهشم البندقية راسه

سيل جارف من الرصاص هب فجأة

من كل حذب و صوب

فتحتضن السماء روحه

حاملة معه احلام العديد

من الرجال الى حتفه

يا الله ، ركبوا معه الى حتفه

بلى ، يقاس قلب العالم بدموعه المخلصة

برجل قل نظيره سقط في تكساس

تحت صيف سنوات عمره

و نحن لازلنا و لن نفقد انتصاراته

المدوية

و الى حيثما تقود الرجال نحو الحرية

ثم تصعد روحه على اكتافهم

يا الله ، روحه تصعد على اكتافهم "

و في بلادنا ، الغى التلفزيون و الاذاعة الرسميين جميع
اعلاناتهم التجارية واضعين نمطا رفيع المستوى لمهنتهم ، و
وهبوا الامة رؤية اكثر الهاما و رسوخا تذكرهم دوما بهذه الايام
.

و بعيدا عن ذلك ، قدر نسبة الجمهور المشارك و هو الاكبر
حجما في تاريخ التلفزيون بحوالي ٩٣% من جميع الفئات ،
و شاهد حوالي ١٧٥ مليون مشاهد حزين في الولايات
المتحدة وحدها تجليات الاحداث التاريخية الطارئة ، و تم
تقوية قمر الاتصالات الامريكى و دار حول الكرة الارضية
ناقلا للناس في ٢٣ دولة تفاصيل مشهد الجنازة المهمة

لأعظم رجل في هذه الارض ، و المناظر الختامية لحظة دفنه
في مقبرة ارلينغتون القومية .

وهبت صناعة التلفزيون ايضا من صميم قلبها درسا مضيئا في
الاخلاقيات المدنية للشعب الامريكي خلال عرضه بالتفصيل
انتقال السلطة بشكل سلمي لنائب الرئيس ليندون جونسون و
لا احد من الذين شاهدوه سينسى عما قريب كلماته الحزينة
الموجعة كرئيس للجمهورية عند افتتاح الموسم البرلماني
للكونغرس :

(كل شيء امتلكه لن يمنحني السعادة و القدرة على الوقوف
هنا انا بحاجة لعونكم ، فلا يمكنني تحمل اعباء
المسئولية لوحدي)

سيظل حيا في مخيلتنا و يدفنا إلى التناول :

في الصحافة ، بعض المواضيع و الصور المعدة لتغطية الجنازة
و المنتجة بإتقان بجهود رجال و نساء موهوبين عبرت عنه
بشكل فعال و معبر .

استحضر العديد من الكتاب ذكاء الرئيس الشاب و شبوه
على سبيل المثال بنظيره ابراهيم لينكولن الذي على عاتقه
مسئولية الرئاسة بمنتهى الحماس و الجدية .

قال عضو هيئة تحرير الواشنطن ايفينغ (واشنطن المسائية)
ماري ما كغروري ((لقد احضر المجد و المرح و السعادة الى
المشهد السياسي الامريكي بأسلوب لم نعهده من قبل ، ان
معاملته السلسة و لمسته الحانية و شعره الكستنائي الرائع و
تكشيرة وجهه الخادعة و فهمه اللماح للأمور ، كل هذه
الاشياء ستجعلنا لن ننساه مهما حيناً))

اما ابن اخته الاصغر فلقد استعرض قائلنا ((لقد كان يمشي
كالأمراء و يتحدث كالقديسين ، اضأ مرحه حياة الجمهورية
..... لقد بدا كطفل جميل المنظر ، سيظل راسخا في
مخيلتنا اكثر من ذي قبل ، عندما يمحي الامس القبيح من
ذاكرتنا فسوف نظل نتذكره بابتسامة عريضة في ردات فعلنا
الصادمة حياله و المزلزلة لقلوبنا في كافة ارجاء المعمورة ، لقد
ارتبط اسمه دوما بليנקولن العظيم))

كتبت الكاتبة النيوزيلندية موريس شادبولت لنا ((اشك فيما
اذا كان منذ عهدي ابراهام لينكولن و فرانكلين روزفلت هناك
رئيسا جمع الامة الامريكية حوله و قاد مسيرتها باحترام نحو
المجد ، لعل الرئيس جون كينيدي الشاب هو الرجل الوحيد
التي اجتمع الناس حوله))

و من اسرائيل ، كتب المحرر المساعد في جريدة الجيوغرافيك (الجغرافي) كنيث ماكلش ((الرئيس التنفيذي كاديش لوتز صرح في الكنيست (البرلمان الاسرائيلي) قائلا : ها نحن نراه بحق خليفة لإبراهيم لينكولن ((، وصلت الاخبار الى ماكلش و هو في فندق تيبيريس الواقع على شاطئ بحر الجليل ، و اتت في اللحظة التي بزغ فيها اول نجم على سماء ليلة الجمعة و يخاطبهم الحاخام خطبة يوم السبت المقدس لدى اتباع الديانة اليهودية امام الاسرائيليين الذين رحبوا بقدومه و يحيي بعضهما البعض ب (شاباط شالوم) أي السلام عليك ايها السبت باللغة العبرية ، و طغى بعدها صمت مفاجئ و تجمد الحاضرين مكانهم في مشهد يملأه الاسى و الحزن ، و من خلال كلمات الاذاعة الرسمية الناطقة باللغة العبرية ادركت انها كانت تقصدني ، و بالتالي عكف الناس باهتمام بالغ على ترجمتها " اغتيل رئيسكم " ، بينما احنى الرجال رؤوسهم دقيقة حداد لحظة سماعهم لذلك ، عم الصمت المطبق المكان الهادئ هدوء امواج ساحل لابلاند البحرية ، و في تلك الاثناء همس رجل ذو ملامح قاسية جالس بقربي الى اذني " شالوم شاباط " ((

في كوبنهاغن ، توقف طالب دنماركي عن الكلام متحدثا الى مراسلنا متسلق جبل ايفرست المعروف باري بيشوب ((هذه هي المرة الاولى في حياتي التي ارى فيها والدي يبكي)) .

و هكذا ، راينا الناس في انحاء العالم ، في الكنس و الملاجئ و المعابد و الميادين العامة يعززون في فقداننا للقائد كما لو كان قائدهم ، تجمع ثلاثة الاف شخص في ميدان القديس بطرس بالفاتيكان لسماع خطبة البابا بول السادس ((يا له من انجاز عظيم للكره و الشر لايزال راسخا في قلوب الرجال)) ، كما إحتشد أكثر من ١٠ الاف نسمة سوية على بعد ٨ امتار من محيط السفارة الامريكية في وارسو عاصمة بولندا حيث وقعوا على عريضة تعزية للرئيس الراحل و سلموها لاحد اعضاء البعثة الدبلوماسية السالفة الذكر ، أما سكان لندن فاستمعوا لإعلان استمع سكان لندن إلى مراسم تأبين وطنية أعلن عنها من خلال دقائق خافتة لجميع الأجراس الاثني عشر في كاتدرائية القديس بولس .

بثت إذاعة موسكو لحناً جنائزياً غير مسبوق على الأورغن ، كما زار رئيس الوزراء خروتشوف السفير الأمريكي لدى الإتحاد السوفيتي في مقر السفارة بسباسو هاوس ليوقع هناك

سجل التعازي، كما وقعت زوجته على نفس السجل والدموع
تملاً عينها حزناً على رحيل الفقيد .

وفي خليج طوكيو ، نكست سفن الصيد اليابانية إلى نصف
الصاري حيث ساروا بمحاذاة السفن الحربية الأمريكية دقيقة
صمت و حداد على الرئيس الراحل .

أما في كينيا ، فتغطى محاربو قبيلة الكيسغيز بريش نعامهم
الإحتفالي و دهن زعيمهم رأسه باللون الأبيض حدادا على
الرئيس القتيل ، بينما العلماء و جنود البحرية (المارينز)
التابعين للبعثة الأمريكية في قارة أنتاركتيكا القطبية الجنوبية
صلوا على روحه في الكنيسة الوحيدة بها كنيسة الثلوج .

أربعة أيام لا تنسى من شهر نوفمبر :

لكن العالم بأسره شيعوا جنازته المهيبة المنكسة بأعلامهم في
واشنطن ، فكل واحد من هؤلاء أثناء أيام الجنازة الأربعة
خلال شهر نوفمبر تركوا لنا إنطبعا خاصا بأن كابوس يوم
الجمعة السوداء مازال يلقي بظلاله المرة مرارة العلقم عليهم
عندما ألقوا النظرة الأخيرة على جثمان الرئيس الراحل
المسجى في نعشه الخشبي داخل الغرفة الشرقية من البيت
الأبيض و المطر يهطل من حولهم بغزارة طوال السبت قبل أن

تعود الشمس إلى كبد السماء بأشعتها البراقة يوم الأحد على
وقع طرق طبول موسيقى الشرف العسكرية خلال مراسيم
التابين الرسمية متجهة نحو قبة الكابيتول ، مروراً بتوافد
الملوك و الرؤساء من أرجاء المعمورة يسرون مع أفراد
عائلاتهم و حراسهم لتشيع جنازته حتى الكاتدرائية في يوم
الاثنين البارد رغم أشعتها المشرقة .

و ماذا سنقول لأطفالنا الكبار ؟ يتذكر مراسلنا الأجنبي لدى
مجلتنا في ألمانيا و البلدان الإسكندنافية فولكمار فينتزل ما
حدث في ذلك اليوم عندما كلفناه بتغطية الجنازة لحظة هبوط
الطائرة الرئاسية بمطار دالاس حاملة على متنها الرئيس الجديد
(ما إن توجهت إلى قاعدة اندرو الجوية خلال هذه الجمعة
المصرية حتى قرأت صفحاتها في وجوه الحاضرين لحادثة
الإغتيال المرعبة غير مصدقين ما جرى ، أحد الصحفيين كان
جالسا بقربي يروي لي حقيقة شعوره حولها حيث أخبرني بأن
تخطيطها المنظم بهذا الشكل الدقيق الخاطف يشبه إلى حد
ما قصف الطائرات اليابانية الغادر لميناء بيرل هاربر في
السابع من ديسمبر من عام ١٩٤٤ م .

بعد فترة وجيزة من الوقت و عند تمام الساعة السادسة مساء
واصلت الطائرة الرئاسية سيرها على مدرج المطار حتى كادت

أن تقترب منا ، ثم إلتحم سلم نزول الركاب الهيدروليكي
ببابها الصغير حتى ينزل من على متنها أصحاب المقام الرفيع
من أعضاء الحكومة الاتحادية و الكونغرس و المحكمة العليا
و البعثات الدبلوماسية الأجنبية و هم يصافحون بعضهم
البعض في صمت حيث بالكاد أعددت كاميرتي لتصوير مثل
هذه اللحظات المهمة للغاية ، بعد ذلك خرج نعيش الرئيس
الراحل من الطائرة على متن مصعد خاص به ينزل منها ببطء
و هو محاط بمجموعة من المرافقين له من بينهم شقيق الفقيد
و المدعي العام روبرت كينيدي و السيدة الأولى و أرملة
الفقيد جاكلين كينيدي التي كانت معه خطوة بخطوة قبل
وضعه في سيارة إسعاف رمادية اللون مدعومة بمنصة
هيدروليكية حتى يتم إنزالها بسرعة و دون أية أضرار إلى
المدرج بشكل سليم و سريع للغاية قبل أن تتوقف عن السير
بمفردها و صمتت عن الحركة و الضجيج لتتوقف معها عجلة
الزمن عن الدوران و تعيدنا إلى الوراء و لا سيما حادثة إغتيال
الرئيس الراحل في دالاس التي لطخت بصماته المأساوية
شرف الأمة بالعار ولم تفق أرملته المتشحة بالسواد من تأثير
صدمته عليها بعد حيث مازال وجهها شاحب اللون من فرط
الحزن و الأسى على فقيدها الغالي .

مع إسئاف الموكب سيره حتى تقدمت أرملته نحو سيارة الإسعاف سريعا لتفتحه و تقبع بداخله إلى جانب زوجها الراحل برفقة شقيقه روبرت الذي تعقبها لاحقا ، في تلك اللحظة لم أنس منظرها المثير للشفقة و الوحدة و أشعة الشمس تلفح وجهها المتشح بالسواد في هذا الصباح الرمادي من ذلك اليوم بمدينة دالاس في تكساس حيث بدا لي أمرا غير لائق للغاية بمشهد الحزن السائد خلال هذا المصاب الجلل) .

أعباء الجنازة تثقل كاهل تكساس :

(بعد توقف الموكب لشوان معدودات تقدم القائمون عليه صوب باب الطائرة الرئاسية ليفتحوه و يخرج منه الرئيس ليندون جونسون و حرمه ، بدا لي هذا المشهد مألوفاً للغاية و ذكرني بالذي مضى عندما رافقته و زوجته و إبنته الكبرى خلال رحلتهم الإسكندنافية^٥ حينما كان نائبا للرئيس الراحل مع بعض الاختلافات ، في تلك الآونة لم نكن نجرؤ الابتسام أمام جثمان هذا الرجل المار عبر شوارع تكساس بعدما أثقل كاهلها و استراح من هموم العالم حوله ، حتى تلمسي عن

^٥ لقب يطلق على بلدان فنلندا و النرويج و السويد و الدنمارك نسبة إلى شبه الجزيرة الإسكندنافية و سكان الأصليين من الفايكنغ (المترجم) .

كثب للحزن العالمي عليه اشعري بفخر و اعتزاز بمكانة
بلادنا لديهم و هو الذي وصفها رئيسنا الراحل الماثل امامنا
بأنها دولة قديمة قدم التاريخ رغم اتحادها الحديث العهد
حيث أضحى نائبه ليندون جونسون رئيسا البلاد بعدما تسلم
مقاليد الحكم على الفور و هو على متن الطائرة الرئاسية قبل
توجهها إلى دالاس^٦ و بحضور زوجته التي صارت على إثر
ذلك سيدة البلاد الأولى و بجانبها سليفها السيدة جاكين
كيندي أيضا بمنتهى البساطة و عدم الخوف أو الرهبة من
المنصب الجديد ! هذه هي الحكومة الامريكية التي شعرت
بأنها ستظل خالدة إلى غير رجعة بفضل نظامها السلمي
لتداول السلطة العريق منذ عقود ، فلا تستغرب من سعي
فرنسا و غيرها من الدول المشاركة في الجنازة إلى تعديل
أنظمة التداول السلمي للسلطة لديها على غرار النموذج
الامريكي) .

الرئيس الجديد للبلاد يطلب العون و المساعدة من الأمة :

انتقل الرئيس الجديد للبلاد بقامته الطويلة من الطائرة الرئاسية
إلى قاعة المؤتمرات الصحفية المكتظة بمكبرات الصوت و

^٦ من أهم مدن ولاية تكساس الامريكية (المترجم) .

الصحفيين المحليين و الأجانب من كل حدب و صوب لإلقاء
خطابة الرئاسي الأول المكتوب على عجالة بخط يده (سيداتي
و سادتي ، إنه لخطب جلل الذي تمر به أمتنا العظيمة
المنكوبة بفقدان زعيم فذل لا يعوض ، حقا إنها مأساة عميقة
على قلوبنا و قلوب شعوب العالم بأسره التي ستشارك السيدة
جاكلين كينيدي و عائلتها المكشومة مصابها الفادح هذا ،
لكني أعدكم بأني سأبذل قصارى جهدي لخدمتكم و خدمة
وطننا الغالي ، هذا أقصى ما إستطيع فعله لكم و أطلب من
الله و منكم العون و المساعدة) .

و بعد خطابه الموجز حملته طائرة هيلوكوبتر منتظره سيادته في
المطار هو و عناصر حزبه الديموقراطي المشاركين في التشيع
إلى البيت الأبيض الذي مازال العمل فيه جار على قدم و
ساق حيث هبطت بهم في احدى أراضيها القريبة من ميدان
لافايت^٧ الذي احتشد الناس عن بكرة أبيهم حوله لرؤية
رئيسهم الراحل بعدما دفعهم احد المواطنين إلى مناداتهم
صارخا بالتوجه صوب بيت شجرة كارولين الواقع قرب المركز
الطبي لسلاح البحرية القومي في بيتسيدا ، و أثنا ما كانوا
يعدون جثمان الفقيد لمراسيم الجنازة إنتظرت أرملته في

^٧ لافايت : قائد فرنسي فذل قاد جيش بلاده لمناصرة الفوار الأمريكيين ضد الإستعمار البريطاني (١٧٧٣-١٧٧٦م)
(المترجم) .

الجناح الرئاسي بالطابق السابع عشر من البيت الأبيض دون أن تذوق طعم النوم لإنشغالها الزائد بالجنائز و بأدق تفاصيلها متلقية العديد من المكالمات الهاتفية من صديق العائلة ولیم والتون المتواجد في المستشفى طوال الوقت حتى حلول الظلام ، في تلك الأثناء تذكرت إحدى الكتب المليئة بالرسومات و الصور الفوتوغرافية التي قرأتها في مكتبة البيت الأبيض التي تتحدث عن الرئيس الراحل لينكولن عندما مددوا جثته في الغرفة الشرقية بعد دقائق من إغتياله ، فظننت بأن السيد والتون قد تمكن من إيجاد الكتاب السالف الذكر و إعداد الغرفة الشرقية بنفس الطريقة أم لا ؟

يومه الأخير في البيت الأبيض :

مازال الحشد الغفير الصامت عند ميدان لافايت ينتظر ، من بينهم طالب فنلندي في سن المراهقة أخبرنا من أنه سيتمكن أخيرا من رؤية الرئيس الراحل بشق الأنفـس و فتاة من ذوي الشعر الأحمر أغمى عليها من شدة حزنـها عليه فنقلوها إلى المستشفى على متن سيارة الشرطة .

ذكر لنا المصور جيمس بليـر بأن المكان ساد الهدوء التام ليلا في الساعة الرابعة و النصف مساء قبل أن يكسره ضجيج

الدراجات البخارية بعدما إنتشر حرس الشرف بأسلحتهم
النارية أرجاءه يرافقون تابوت الرئيس الراحل المغطى بعلم
البلاد إلى داخل البيت الأبيض من بابه الأمامي و اعمدته
البيضاء الطويلة و معهم كالعادة أرملته السيدة جاكين كينيدي
بثوبها الوردي .

مضت عدة ساعات على هذا اليوم الكئيب و أنا و السيدة
غروسيفير نحضر لزيارتنا القادمة إلى الغرفة الشرقية لإلقاء
النظرة الأخيرة عليه حيث أحاط حرس الشرف بالتابوت من
كافة الجهات و وقف عند رأسه ضابط رفيع المستوى في
سلاح البحرية بزيه النظامي الذي إرتداه الرئيس الراحل من
قبل خلال خدمته العسكرية البطولية أثناء الحرب العالمية
الثانية ، في الغرفة السالفة الذكر تولى شاب وسيم متزوج
حديثا شئون العزاء الذائعة الصيت بداخله حيث تناولنا العشاء
فيه بدعوة منه و شاهدناه يرحب بضيوفه الكرام بنشاط
ضاحكا مبتسما بحذر يتأملهم بعينه الإيرلنديتين اللماحتين
..... و غيرها من الذكريات التي لا تنسى آنذاك .

أثناء الحزن الشديد الذي ألم بنا قبل الجنازة أشدت أمام
طاقم مجلة الناشيونال جيوغرافي بمآثر الرئيس الراحل العظيمة
بغية تشجيعهم و تحفيزهم على العمل بعدما ذكرتهم بمنحه

ميداليات هيووارد الرفيعة لأعضاء الجمعية الجغرافية الأمريكية التي تنتمي مجلتنا الشهيرة إليها كالعالم و القبطان جاك إيف كوستو^٨ و المتسلقين الأمريكيين لقمة إفرست^٩ عند حديقة البيت الأبيض الخلفية ، و قد كان أول نسخة من دليل البيت الأبيض الذي أصدرته جمعيتنا الجغرافية قد تسلمناه من أرملة الراحل السيدة جاكلين كينيدي حيث تم إصداره تحت إشرافها طبعاً ، لذا فنحن مثل غيرنا من المواطنين خسرونا صديقاً عزيزاً على قلوبنا لا يعوض أبداً .

الصعود الأخير إلى قمة الكابيتول :

مازال المطر ينهمر بغزارة طوال اليوم منذ البارحة حتى بعدما أشرقت الشمس بنورها الواضح في الساعة صباحاً من يوم السبت و بدأ الناس بالتوافد مبكراً و التجمع مجدداً حول ميدان لافاييت حيث إحتشد العشرات فالآلاف أو ما يزيد منهم على طول شارع بنسلفانيا المحاذي للكابيتول^{١٠} منذ وقت متأخر من هذا الصباح ، و بينما كانوا ينصتون بهدوء لأجهزة المذياع الخاصة بهم تنقل لهم نشرة الأخبار لحظة

^٨ عالم بحار فرنسي يلقب بنيمو الصغير لمغامراته و رحلاته البحرية في البحار و المحيطات على وجه هذه البسيطة ما بين عقدي الخمسينات و السبعينات من القرن العشرين حيث فاز بالسعفة الذهبية لمهرجان كان السينمائي عن فيلمه السينمائي المقتبس منها (عالم الصمت) عام ١٩٥٦م (المترجم) .

^٩ أعلى قمة جبل في العالم تقع بين الصين و النيبال و يبلغ إرتفاعها ٨٨٥٠ متر عن مستوى سطح البحر (المترجم) .

^{١٠} يقصد قمة الكابيتول التي يقع فيها مقر الكونغرس أو البرلمان الأمريكي المكون من غرفتين و هما مجلس النواب و مجلس الشيوخ (المترجم) .

بلحظة حتى قطع المذيع النشرة فجأة ليذيع لهم هذا النبأ العاجل (إغتيال اوزوالد!) ، و اوزوالد هو المتهم الرئيسي بقتل الرئيس الراحل خلال موكبه الرئاسي السالف الذكر في دالاس حيث قتل على يد مالك إحدى الملاهي الليلية بنفس المدينة^{١١} قبل وضعه في السجن ، سرعان ما إنتشر هذا الخبر الهام إنتشار النار في الهشيم و عم الصمت المطبق جمهور المشيعين كأن على رؤوسهم الطير و هم يراقبون جثمان رئيسهم الراحل المسجى داخل تابوت موضوع فوق عربة تجرها ستة خيول رمادية اللون عند جادة بورتيكو الشمالية ، ذلك التابوت الخشبي هو ذاته الذي وضع فيه جثمان سلفه روزفلت^{١٢} عام ١٩٤٥م قبل أن يفقد أهميته عام ١٩٥٨م ، أما الآن فيضم بين حناياه جثمان الرئيس الراحل جون كينيدي .

في تلك الأثناء ، عبرت سوزي بودرجي ذات الستة أعوام الشارع قادمة من وزارة العدل حاملة بين ذراعيها باقة من الورود الحمراء صوب الموكب ، فما إن إقتربت منه قبالة الحشد الغفير و ضباط الشرطة و الجنود الحاملين حراهم

^{١١} يقصد المؤلف رجل المافيا روبي الذي قتل اوزوالد أمام رجال الشرطة الذين لم يحركوا ساكنا نحوه (المترجم) .

^{١٢} رئيس جمهورية سابق (١٩٣٣-١٩٤٥م) و أحد قادة الحلفاء المنتصرين في الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥م) هو أطول رئيس لأمريكا حيث ظل يحكمها مدة ١٢ عاما لأربع فترات رئاسية (المترجم) .

الشرفية المحيطين به حتى جثت على ركبتيها و وضعت ورود
الباقية الواحدة تلو الأخرى على الرصيف المحاذي له مخاطبة
إياه بصوتها البريء (لأنني أحبك كثيرا فأنا حزينة للغاية على
فراقك عني إلى الأبد) .

طلب مراسلو البيت الأبيض الصحفيين المتصلين في مكانهم
السماح لهم بالسير خلف سيارات الليموزين^{١٣} إلى قبة
الكابيتول و الدموع تغمر عيونهم المثقلة بالأحزان خلال
مرافقتهم موكب الجنازة الرئاسي خطوة بخطوة .

في الحادية و عشر دقائق صباحا يتقدم الموكب حرس الشرف
لمقاطعة كولومبيا^{١٤} ثم يليهم شرطة المدينة تحت قيادة القائد
الأعلى لهم و بعد ذلك قادة الجيش النظامي بقواته البرية و
الجوية و البحرية و خفر السواحل و أخيرا كتيبة عازفي الطبول
العسكرية ، بعد ذلك حملت مجموعة من جنود البحرية
بزيهم النظامي الأزرق نياشين و أوسمة قائد قارب بي تي
البحري التي تقلدها الرئيس الراحل قبل توليه رئاسة الجمهورية
عام ١٩٦١م خلف موكبه من بينهم ثلاثة يمثلون رجال الدين
، ثم وصل التابوت محملا على أكتاف ٢٤ رجلا من الحراس
المنتسبين لوحدات من الجيش النظامي و البحرية و المارينز و

^{١٣} سيارات الأجرة الخاصة بالمسافرين القادمين من المطار (المترجم) .

^{١٤} تتبع ولاية ميريلاند و تقع فيها عاصمة أمريكا واشنطن (المترجم) .

القوات الجوية و خفر السواحل و القوات الخاصة
المتخصصة في حرب العصابات ، و بعد ذلك سار خلفهم
حاملوا الأعلام الرئاسية يتقدم أخيرا الخيالة على متن خيولهم
المخصصة المراكزية بلون بشرتها السوداء تعبيرا عن المصاب
الجلل ممسكين بمقابض سيوفهم السوداء على أغمادها
الفضية المعلقة على سروجهن و منتعلن أحذيتهم الطويلة
السوداء البراقة بمهاميزها الفضية الموثوقة إلى الراء ، و ها
هي أقدم رمز عمرا يغادر الزعيم ، إمراة ذرفت الدموع وسط
الحشود قبل أن تلوذ بالفرار و تختفي دون سابق إنذار .

إمتد صف طويل من سيارات الليموزين يطف أمام بوابات
البيت الأبيض للحاق بالموكب ، فركبت أرملة الرئيس الراحل
أولى هذه السيارات برفقة شقيق زوجها الأصغر روبرت
كينيدي و ابنتها كارولين ذات الستة أعوام و ابنتها الأصغر
جون الذي لم يتجاوز الثلاثة أعوام من عمره إلى جانب أنها
طلبت من الرئيس الحالي جونسون و زوجته أن يصعدا معها
إلى سيارتها (ليندون الطيب ! أرجو منك الركوب معنا على
متن السيارة التي صعدت إليها للتو بغية الذهاب إلى الجنازة
من هذا الإتجاه) ، و على إمتداد ذلك الشارع وصل
قارعوا الطبول بمعداتهم الموسيقية و الرايات ترفرف على

طبولهم النحاسية التي يقرعونها بليوننة بالغة و وتيرة عالية
يخترق صوتها الهادر عنان السماء في وضح النهار و تعبر
إيقاعاتها الوقورة عن حزن الناس العميق بهذا المصاب الجلل
حيث عم أرجاء المكان و تبلل بدموعهم المنهمرة و كفت
أفواههم عن الكلام .

(البرد يتبع القائد خلفه) صوت هدير المدافع :

عندما وصل الموكب ببطء إلى قبة الكايتول عزفت فرقة
البحرية العسكرية على آلاتها النحاسية بوقار شديد قبل أن
يهتف أعضاؤها بأعلى صوتهم شعار (البرد يتبع القائد خلفه)
كي تبدأ المدافع بإطلاق قذائف التحية الرئاسية الحادية و
العشرين ، في تلك الأثناء حمل رجلا أسود البشرة طفلا أبيض
ذو ثلاث سنوات على كتفيه حتى يتمكن من رؤية الموكب
المهيّب ، سرعان ما تعالت أصوات المدفعية فوق الحشد
الغفير على مدرجات الكايتول و هم يحيطون بالحمالين
لتابوت الرئيس الراحل يرفعونه برقة من النعش رغم وزنه البالغ
٩٠٠ رطل صوت درجات الجبهة الشرقية من القبة التي لم
تشهد مثيلا له من قبل ثلاث سنوات رئيسا شابا يحرق الأوهام
خلال خطابه الافتتاحي عند توليه مقاليد السلطة فيه ، ثم
بدأت الفرقة البحرية عزف الترنيمة الجليلة (الأب الخالد

القوي القادر على إنقاذنا يحيطنا بذراعيه الحانيتين و يحمينا
من جحيم يوم البعث و يزيح القلق و الخوف عنا فيه) .

لم يكن هناك زهورا مرصوفة على طرفي مقبرة روتندا الكبرى
تحت قبة الكابيتول و لا رايات سوداء يرفرفن فوق جدرانها
المقوسة البيضاء حيث تطل أشعة الشمس البراقة عليها تنتظر
إنبلاج الصباح الباكر .

لقد بني هذا النعش الخشبي خصيصا للرئيس القتيل إبراهيم
لينكولن^{١٥} قبل مائة عام ، و منذ ذلك الحين حتى يومنا هذا
حمل بداخله خمسة عشر ميتا من أصحاب المقام الرفيع في
الدولة ليدفنوا من خلاله في مشواهم الأخير بمقبرة روتندا
الكبرى .

يبدأ الآن الحمالون بحمل تابوت الرئيس الراحل المصنوع من
خشب الماهوجني^{١٦} إلى الكونغرس الذي كان نائبا عن مقاطعته
في كلتا غرفتيه النواب و الشيوخ من قبل مدة ١٤ عاما ، و
حول غرفة واسعة الحجم تجمع صفا طويلا من كبار
الشخصيات فيها بالقرب من تمثالي الرئيسين الشهيدين

^{١٥} رئيس الجمهورية (١٨٦١-١٨٦٥م) و في عهده قام بإلغاء الرق و تحرير العبيد السود مما أدى إلى إندلاع الحرب الأهلية عام ١٨٦١م و إنتهت بانتصاره عام ١٨٦٤م قبل أن يلقي مصرعه عام ١٨٦٥م (المترجم) .

^{١٦} نوع من الأشجار الاستوائية التي تنمو في إفريقيا (المترجم) .

لينكولن و غارفيلد^{١٧} حيث رأت الملايين الغفيرة و أصغت
لخطب بليغة ألقاها زعيم الأغلبية في مجلس الشيوخ
مانسفيلد و رئيس اللجنة العدلية في مجلس النواب وارن و
رئيس مجلس الشيوخ ماك كورماك ، بعد ذلك تقدم قبالة
التابوت رجل طويل القامة أثقلت المسئوليات الملقاة على
عاتقه كاهله منذ يومين كما هو واضح من عينيه و وضع عليه
إكليلا من زهور القرنفل بلونها الأحمر و الأبيض و معها
بطاقة تعزية مكتوب عليها (من الرئيس جونسون و الأمة) .

إنتهت مراسيم تأبين روتندا عدا ما يتعلق بأرملة الرئيس الراحل
الشابة و هي تقود إبتها الصغيرة كارولين المرتدية حذائها
الأحمرين و جوربيها الأبيضين و معطفها الأزرق إلى الجنازة
عكس شقيقها الأصغر جون كينيدي الابن الذي لم يتجاوز
الثالثة من عمره الذي أصابه التعب و الإرهاق من السير خلف
جنازة والده الراحل تحت أشعة الشمس حيث حمل إلى
مكتب رئيس مجلس الشيوخ كي يلهو قليلا بأعلامها المعدنية
المرصوفة على طاولتها الخشبية بالقرب من المدفأة بعدما
إختار واحدة منهن ببراءته المعتادة ليمنحها لشقيقته و أخرى
لوالده الراحل أيضا .

^{١٧} رئيس الجمهورية (١٨٨٠-١٨٨١م) لقي مصرعه على يد أحد المتبرعين لحملة الرئاسة تشارلز غيتان عام ١٨٨١م
(المترجم) .

و من الشخصيات الأجنبية التي شاركت في تشييع جنازة
الرئيس الراحل جون كينيدي :

- ١- الرئيس الكوري تشونغ هي بارك (١٩٦٤-١٩٧٩م)
- ٢- السفير السعودي لدى أمريكا رشاد فرعون
- ٣- الرئيس الفلبيني ديوسيداد ما كبال
- ٤- إمبراطور إثيوبيا هيلاسيلاسي الأول (١٩١٨-١٩٧٤م)
- ٥- العاهل البلجيكي بودوان الأول (١٩٤٥-١٩٩٣م)
- ٦- ملكة اليونان فريديريكا^{١٨}
- ٧- الرئيس الفرنسي شارل ديغول (١٩٥٩-١٩٦٩م)
- ٨- وزير الخارجية الليبيري رودلف غريمز
- ٩- المستشار الألماني لودفيج إيرهارد (١٩٦٣-١٩٦٦م)
- ١٠- الرئيس النيكاراغوي السابق لويس سوموزا (١٩٣٢-١٩٥٦م)
- ١١- الرئيس الألماني هاينريش لوبكه (١٩٥٩-١٩٦٩م)
- ١٢- شقيقة الرئيس الراحل جون كينيدي السيدة لوفورد
- ١٣- رئيس المراسيم في البيت الأبيض أنغير بيدل دوك

^{١٨} والدة العاهل اليوناني الأخير قسطنطين (١٩٣٢-١٩٦٧م) و شقيقته ملكة إسبانيا صوفيا (المترحمة) .

١٤- شقيقة أرملة الرئيس الراحل جاكين كينيدي الأميرة

رازويل

١٥- رئيس الوزراء الياباني هاياتو ايكيديا

١٦- الرئيس اليوغسلافي بيتر ستامبوليتش

١٧- وزير الخارجية السيراليوني جون كاريفا

١٨- رئيس الوزراء النرويجي اينرغيرهاردسون

١٩- نجل الرئيس الإيرلندي ايمون دي فاليرا

٢٠- الأمير الدنماركي جون

٢١- أمير لوكسمبورغ جان

٢٢- صهر الرئيس الراحل جون كينيدي بيتر لوفورد

٢٣- وزير الخارجية الإيرلندي فرانك ايكن

٢٤- الأمير الإيراني غلام رضا بهلوي^{١٩}

٢٥- ولي عهد النرويج الأمير هارولد^{٢٠}

٢٦- أمير إدنبره البريطاني فيليب^{٢١}

٢٧- الرئيس الكولومبي السابق البرتو ليراز كامارغو

٢٨- الرئيس الإيرلندي ايمون دي فاليرا (١٩٦٢-١٩٦٢)

(١٩٧٨م)

٢٩- الأمير المغربي مولاي عبدالله^{٢٢}

^{١٩} الشقيق الأصغر لإمبراطور إيران محمد رضا بهلوي (المترجم) .

^{٢٠} أصبح ملكا على النرويج بعد وفاة والده الملك أولاف عام ١٩٩٠م (المترجم) .

^{٢١} زوج ملكة بريطانيا الراحلة اليزابيث الثانية (١٩٥٣-٢٠٢٣م) و والد الملك الحالي تشارلز (المترجم) .

- ٣٠- رئيس الوزراء البريطاني دوغلاس هوم
- ٣١- الأمير الهولندي برنارد
- ٣٢- وزير الخارجية المغربي أحمد قديرة
- ٣٣- ممثل الحكومة البولندية بيوتر كراكسوفسكي
- ٣٤- وزير الخارجية السويسري فريدريش فاهلن
- ٣٥- وزير الخارجية المصري محمود فوزي^{٢٣}
- ٣٦- المستشار النمساوي الفونس غورباتش
- ٣٧- وزير الخارجية الهولندي جي . ام . ايه . اتش . لونز
- ٣٨- رئيس الوزراء الكندي ليستر بيرسون
- ٣٩- نائب وزير الخارجية الروماني ام . ماليتا
- ٤٠- وزير الخارجية الباكستاني ذو الفقار علي بوتو^{٢٤}
- ٤١- نائب الرئيس الإسباني أوغستين مانوز غرانديز
- ٤٢- رئيس البرلمان البرتغالي لويس سوبيكو بنتو
- ٤٣- وزير الخارجية التونسي الباهي الأدغم
- ٤٤- السفير التايلندي لدى أمريكا سوكيتسو نيمانهمندا
- ٤٥- رئيس الوزراء الجمايكي الكسندر بوستانمتي
- ٤٦- رئيس الوزراء التركي عصمت اينونو^{٢٥}

^{٢٢} شقيق العاهل المغربي الحسن الثاني (١٩٦١-١٩٩٩م) (المترجم) .

^{٢٣} كان رئيسا للوزراء (١٩٧٠-١٩٧٤م) (المترجم) .

^{٢٤} كان رئيسا للوزراء (١٩٧٣-١٩٧٧م) قبل أن يطيح به رئيس الجمهورية ضياء الحق عام ١٩٧٧م و يعدمه شنقا عام

١٩٧٩م و هو والد رئيسة الوزراء بنازير بوتو (١٩٨٨-١٩٩٠م/١٩٩٣-١٩٩٧م) (المترجم) .

^{٢٥} كان رئيسا للجمهورية (١٩٣٨-١٩٥٠م) خلفا لرئيس الجمهورية مصطفى كمال أتاتورك (١٩٢٣-١٩٣٨م) (المترجم) .

٤٧- الرئيس الإسرائيلي زلمان شازار (١٩٦٣-١٩٦٨م)

٤٨- النائب الأول لرئيس الوزراء السوفيتي أنستانس

ميكويان

٤٩- رئيس الوزراء السويدي تاغ ايرلاندر

٥٠- رئيس مجلس الشيوخ الإيطالي سيزاري ميرزاغورا

٥١- رئيس البرلمان الجزائري الحاج بن علاء

٥٢- رئيس مجلس الشيوخ البرازيلي اورو دي مورا اندرادي

الآلاف تمشي إليه طوال الليل رغم البرد القارس :

فتحت الآن الأبواب البرونزية الكبرى لمقبرة روتندا للجمهور حيث مررت عبرها مع السيدة غروزفنز و أولادنا حتى نهايتها حيث رأينا الأمريكيين صامتين كأن على رؤوسهم الطير حسب تعبير أحدهم ، عائلات بأسرها حضرت مع أطفالها و هم يرتدون معاطف الفرو في أفضل أيام الأحد رغم أن معظمها مازال ملطخا بتراب مزارعهم القادمين منها خلال فترة عملهم هناك دون أن يفكروا بتبديلها البتة من شدة عجلتهم لحضور هذا اليوم المهيّب ، حتى الأعمى بعصاته و الشاب بعكازاته و المرأة المعاقة بكرسیها المتحرك حضروا بمساعدة بعض من أصدقائهم حضروا أيضا بعدما جففوا دموعهم ، و عندما

دخلت إمراة زنجية المقبرة لم تمنع نفسها من البكاء و أمامها
إمراة بيضاء تنظر إليها نظرة تأنيب ضمير لنفسها دون أن
يقترب الموكب من كليهما ، فاندفعت البيضاء باكية بكاء حارا
نحو الزنجية و احتضنتها بحنان تشاركها أحزانها و تشييعها
لجثمان الرئيس الراحل معا .

حل الظلام و مازال الحشد الغفير ينتظر المرور بغية إلقاء
النظرة الأخيرة عليه بفارغ الصبر حيث يصطف في الخارج
طابور طويل من المعزين الأربعين يتدافعون تدافعا ضاغطا على
بعضهم البعض في إنتظار دورهم حتى هذه اللحظة حيث
حمل بعضهم بطانياته معه و البعض الآخر يرتدي معاطف ثقيلة
من الفرو تقيهم من البرد القارس .

ظلت أبواب المقبرة مغلقة عند الساعة الثامنة و النصف
صباحا ، و ما إن حل منتصف الليل حتى سمح بدخول الآف
من الذين فشلوا في الوصول إليه من قبل و إن كانوا لا يزالون
واقفين ينتظرون دورهم بإلقاء نظرهم الأخيرة عليه ، ربت أحد
الشباب على كتف فتاة تقف بجواره (أنظري إلى هذا يا حلوتي
! هذا جنون !! لا يمكننا الوصول إليه في الروتندا حتى و لو
إنتظرناه طوال الليل) .

(لا تهتم ، أنا أريد البقاء في هذا الطابور منتظرة دوري على كل حال ، فمن أجله يمكننا الإنتظار) .

إستأجر أربعون طالبا من طلاب جامعة يال حافلة تقلهم إلى هناك و مع ذلك لم يتمكنوا من الدخول ، عائلة كليفلاند كانت على بعد عشرين قدم من مدخل الروتندا قبل أن يضطر حراسها إلى منعهم بحجة عدم السماح بدخول المزيد من الناس ، وراءهم و بالقرب من مقدمة طابور المعزين البالغين تعدادهم ١٢ ألف شخص طلبت إمراة من أولادها أن يصلوا في مكانهم (يمكننا أن نصلي من أجله في مكاننا ، فالله و الرئيس سيصغيان لصلواتنا بمجرد أن نكون في الداخل) ، ظلت مقبرة الروتندا مفتوحة لنصف ساعة إضافية بعدما مر ربع مليون شخص في ٢١ ساعة تقريبا منذ الصباح الباكر .

ملأت لاحقا جنبات شارع بنسلفانيا و الشوارع الخلفية الأخرى بأعداد كبيرة من الناس تتوافد على الرئيس الراحل قبل رقوده الأخير إلى الأبد في هذا اليوم المشهود بمن فيهم أرملة جاكين و شقيقه روبرت و إدوارد الذين حضروا و ركعوا لله عند مشواه الأخير مجددا ، بعد ذلك حمل ثمانية من الحمالين الأشداء تابوته الخشبي إلى مستقره النهائي على وقع الطبول مرة أخرى محمولا على نعشه المنتظر تجره الخيول

الرمادية إلى مثواه الأخير ، و هكذا بدأ جون كينيدي رحلته الطويلة التي ستنتهي فصولها في ارلينغتون .

الهبوط العظيم من الأراضي البعيدة :

ظلت الطائرات القادمة من خارج الوطن تتدفق على مطار واشنطن الدولي طوال الليل و على رأسها طائرة الإمبراطور الإيثيوبي هيلاسيلاسي الصغيرة و طائرة نائب الزعيم السوفيتي خروتشوف ميكويان إلى جانب طائرات ملكة اليونان المحبوبة فريدريكا و العاهل البلجيكي بودان الأول و أمير إدنبرة البريطاني فيليب و مواطنه رئيس الوزراء دوغلاس هوم و الرئيس الفرنسي شارل ديغول و غيرهم من أصحاب المناصب الرفيعة في حكومات بلدانهم لبو نداء الواجب و شاركوا في التشيع في مشهد لم يشهد له العالم مثيلا من قبل منذ جنازة العاهل البريطاني إدوارد السابع^{٢٦} في لندن عام ١٩١٠م ، حتى الرئيسين السابقين ترومان^{٢٧} و خلفه إيزنهاور^{٢٨} شاركا في الجنازة أيضا ، فضلا عن مشاركة معظم

^{٢٦} ملك بريطانيا (١٩٠١-١٩١٠م) و ابن الملكة فيكتوريا (١٨٣٧-١٩٠١م) (المترجم) .

^{٢٧} رئيس الجمهورية (١٩٤٥-١٩٥٣م) و في عهده إنتهت الحرب العالمية الأولى بعدما ألقى القنبلة الذرية على اليابان و أجبرها على الإستسلام عام ١٩٤٥م و الحرب الباردة مع الإتحاد السوفيتي عام ١٩٤٧م و تأسيس حلف شمال الأطلسي عام ١٩٤٩م و الحرب الكورية (١٩٥٠-١٩٥٣م) (المترجم) .

^{٢٨} رئيس الجمهورية (١٩٥٣-١٩٦١م) و هو كان من قبل القائد الأعلى لجيوش الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية (١٩٤١-١٩٤٥م) و صاحب مبدأ إيزنهاور لحماية أي بلد متحالف مع بلده أمريكا من الخطر الشيوعي عام ١٩٥٤م (المترجم) .

حكام الولايات الأمريكية بمن فيهم حكام نظيراتها الجنوبية الذين خاضوا صراعا شرسا مع الرئيس الراحل قبل مصرعه كحاكم تكساس جون كونيالي الابن الذي تعرض هو و حفيده لجروح غائرة خلال عملية الإغتيال السالفة الذكر^{٢٩} جراء تلقيهما ثلاث رصاصات أطلقت على الموكب الرئاسي في دالاس في ذلك اليوم المشؤم .

و من بين المشاركين في الجنازة أيضا والدة الرئيس الراحل فيتزجالد الشجاعة التي قدمت من بوسطن لتلحق بأولادها و بناتها بعدما تركوها بمفردها هناك لتعتني بزوجهما المريض جوزيف كينيدي أطول فترة ممكنة قبل أن يستعيد عافيته و يعزيه الناس في ميناء هيانس بولاية ماستشوتس في رحيل ابنه بمفرده بعدما خسر قبله ثلاثة من أبنائه أحدهما يدعى جو الذي قتل خلال الحرب العالمية الثانية و الثاني جيري الذي قتل في حادث سيارة و الثالثة كاثلين التي لقيت مصرعها في تحطم طائرة .

^{٢٩} يقصد إغتيال الرئيس جون كينيدي في دالاس عام ١٩٦٣م (المترجم) .

رؤساء الدول يشاركون الأمريكيون في التشييع

على قدم و ساق :

تقدم ثمانية رؤساء دول صفوف المشيعين يليهم عشرة من رؤساء الحكومات و من بعدهم من أصحاب المناصب الملكية القادمين من أرجاء المعمورة ، فضلا عن مشاركة ٢٠٠ رجل و إمراة يمثلون أكثر من ١٠٠ دولة من أنحاء العالم في الجنازة ، حتى الأمم المتحدة و المنظمات الدولية الأخرى و الكنيسة الكاثوليكية^{٣٠} شاركوا في التشييع أيضا .

تجمع البسطاء القادمين من الأرياف البعيدة في البيت الأبيض عزلا من السلاح صفر اليدين على هيئة مجموعة مشكلة من قبلهم غير مقيدون بالبروتوكول المتبع في مثل هذه الأمور .

وقف جمع غفير من أقرباء أرملة الرئيس الراحل بجوارها خلف التابوت الرئاسي المحمول على أكتاف جنود من البحرية يرددون ترانيم جوقة الأكاديمية البحرية الموسيقية و يجازون ميدان لافايت المكتظ بالناس متجهين صوب كنيسة رؤساء الجمهورية^{٣١} حيث دق ناقوسها الكبير حزنا عليه ، بعد ذلك نفخ عازفو الفرقة الملكية لفوج مراقبة المرتفعات السوداء

^{٣٠} يقصد المؤلف دولة الفاتيكان التي تمثل الشعوب المسيحية الكاثوليكية المذهب في العالم (المترجم) .

^{٣١} يقصد المؤلف كنيسة سانت جون البروتستانتية في واشنطن حيث كان جرت العادة إقامة مراسيم الصلاة على رؤساء أمريكا بعد وفاتهم فيها ، و لأن الرئيس جون كينيدي كاثوليكي المذهب فلم تجرى الصلوات عليه مطلقا (المترجم) .

على مزامير القربة^{٣٢} إيذانا بمجيئهم للجنائز و القيام بجولتهم الموسيقية خلالها بطلب من أرملة الرئيس الراحل و هم الذين عزفوا من قبل في البيت الأبيض لأولاده و ضيوفهم الصغار و من بينهم أولادي قبل أحد عشر يوم فقط من مصرعه حيث كان في ذلك اليوم على بساطته دون أن يلتزم بواجباته الرئاسية المعتادة و لا سيما عندما كان يشاهد إحدى العروض المسرحية هناك إلا و هي مسرحية (راية النجم البراق) ، و مازلت أذكر إحدى مواقفه خلالها و لن أنساها مهما حيت عندما حاول أحد الأولاد الذين أعرفهم التعليق عليها بنوع من السخرية زجرة الرئيس الراحل صارخا في وجهه و طلب منه التوقف عن شرب الكوكا كولا^{٣٣} و الإنصات للمسرحية ، أما الآن فإن هدير مزامير القرب يرتفع عاليا للغاية دون أن تتمكن أرملة من حبس دموعها أكثر من ذلك قبل أن تقرع الطبول فتصعد رأسا إلى أعلى دون أن تبالي للريح التي تهز خمارها الأسود الطويل الذي يغطي وجهها الأسمر أثناء مرافقتها للتأبوت إلى البيت الأبيض .

سار الرئيس جونسون و حرمه على رأس المعزين من مناطق أخرى في البلاد خلف ثلاثة من أفراد من أسرة كينيدي بعدما

^{٣٢} آلة نفخ موسيقية من إسكتلندا (المترجم) .

^{٣٣} مشروب غازي شهير صنع في أمريكا عام ١٨٦٥م (المترجم) .

حثهم أفراد خدمة الأمن السرية على الصعود إلى متن إحدى السيارات الواقية من الرصاص إلا أنهما قابلا طلبه بالرفض ، أما أرملة الرئيس الراحل جاكين كينيدي^{٣٤} فقد سارت في جنازته بمنتهى الرقة و اللطف اللذين تعجز الكلمات عن وصفهما كما لو كانت إمبراطورة أو ملكة أو أميرة مدللة يتبعها طابور من الخدم و الحشم ، سيما و أن الكاتب أرنست همنجواي^{٣٥} إسترسل بين سطور كتابه الحائز على جائزة البوليتز (جوانب من الشجاعة) في وصفه الدقيق للرئيس الراحل جون كينيدي و زوجته و مقدار شجاعتهم في مواجهة المشاكل و الأزمات .

راقبت الموكب من الطابق الرابع المقابل للكاتدرائية و شعرت بمدى تعاطفي الشديد معها ، فلقد نشرت صحيفة لندن بأنها أعطت للشعب الأمريكي في ذلك اليوم المهيب شيئا عظيما مازالوا يفتقرون إليه ألا و هو الصلابة و العزة و المنعة و لا سيما عند كاتدرائية سانت ماثيو التي شهدت بين أروقتها المقدسة و على يد كاردينالها الأعظم كوشينغ زواجهما من

^{٣٤} سيدة أمريكا الأولى و زوجة رئيس الجمهورية جون كينيدي (١٩٦١-١٩٦٣م) و زوجة الملياردير اليوناني أوناسيس عام ١٩٦٨م توفيت عام ١٩٩٥م (المترجم) .

^{٣٥} كاتب أمريكي يساري النزعة شارك في الحرب الأهلية في إسبانيا (١٩٣٦-١٩٣٩م) إلى جانب رفاقه الإشتراكيين و الفورة الكويتية عام ١٩٥٩م ، حاز على جائزة نوبل لآداب عام ١٩٥٤م و إنتحر عام ١٩٦١م ، من أهم أعماله روايات (لمن تفرغ الأجراس) و (وداعا للسلاح) و (العجوز و البحر) (المترجم) .

الرئيس الراحل و تعميمه إنتها كارولين و دفن رفيق دربها كإبن
بار بها في أغسطس الماضي .

إحتضن الكاردينال كوشينغ ولدي الرئيس الراحل بعد قدومهما
إلى الكنيسة بالسيارة حيث قبل إنته كارولين على جبينها و
ربت على رأس شقيقها جون الإبن ثم إحتضن أمهما حضنا
أبويا ملؤه العطف و العزاء لها ، و ما إن وصل الموكب إلى
كاتدرائية بورتيكو حتى رش النعش بالماء المقدس ثم حمله
الحمالون إلى الداخل و لا سيما إلى ممر قداس أرواح الموتى
الطويل الكبير لمدة ساعة حيث تقام على روحه طقوس العزاء
و الصلاة على الأموات الخاصة بالكنيسة الكاثوليكية التي
يعود عمرها لقرون مضت .

العالم يقف لحظة حداد في الجنازة :

مرت الدقائق المعدودة القادمة بسرعة البرق ، و مهما بلغ
فارق التوقيت بيننا و بين بلدان العالم الأخرى فإن الملايين
من سكان الأرض بأسرهم وقفوا وقفة إحترام لروح الرئيس
الراحل داخل بيوتهم ، فالقطارات توقفت عن العمل مثلها مثل
الطائرات التي ظلت مكانها داخل المطارات دون حراك ، و
قناة بنما أغلقت أبوابها أمام حركة الملاحة فيها ، و سائقو

الدراجات النارية وقفوا عند ميدان النيويورك تايمز حدادا عليه ، و توقفت حركة المرور في العاصمة اليونانية أثينا هذا المساء ، و رفعت الأعلام عند منتصف صواري السفن في أرجاء المعمورة حزنا عليه ، و ما إن حان وقت الإحتفال بأعياد الميلاد و دعي الأطفال إلى حفلاتها المقامة على شرفها في البيت الأبيض من بينها حفلة نظمتها أرملة الرئيس الراحل بنفسها حيث سألها أحد الأطفال المدعويين إليها عما إذا كانت قادرة على الحصول على العمل بعد رحيله أم لا ؟ سألوها هذا السؤال الخشن و هو يعلمون جيدا العلاقات القاسية التي هزت مشاعرهم الوطنية الخاصة بهم جراء مصرعه ، لقد أرسلوا برقية يعبرون فيها عن حبهم الشديد له كما كان يبادلهم نفس الشعور من قبل ، و الآن أرسلت للأطفال بعضا من زهور جنازته تقديرا لمشاعرهم الجياشة نحوه .

شعلة تنير العالم :

وقف الآلاف من المعزين طوال الليل ينتظرون دورهم بفارغ الصبر في إلقاء النظرة الأخيرة عليه و الصلاة لله من أجله قبل إشعال الشعلة على قبره في أرلينغتون بدقائق معدودات قبل أن تعود أرملته مجددا إليه في تلك الليلة لتضع عطر زنايق الوادي على مثواه الأخير ، و أثناء عودتها إلى البيت الأبيض

إجتازت شارع بوتوماك إلى شارع جورج واشنطن^{٣٦} بمجرد أن
قرعت أجراس ساعات العاصمة الميدانية منتصف الليل إيذانا
بحلول الظلام ، و هكذا إنتهى أسبوع حافل بالآم الموجهة
للقلوب أظهرت أيامها و لياليها المشخنة بالجراح مقدار حزن
الشعب الأمريكي الجارف على رئيسه الراحل دون أن يمحي
حبه الطاغي له من ذاكرته الجمعية ، فمازلت أردد مقولة
الرئيس لينكولن في خطابه الشهير الذي ألقاه على الجماهير
في غتسبرغ عام ١٨٦٣م عندما وصف المعيار الكامل و
النهائي للولاء للوطن أمامهم ، لكن الكلمات و الأعمال تعجز
عن وصف هذا الرجل الشاب الذي ينطبق عليه المثل الأعلى
في الإخلاص لوطنه و شعبها العظيم اللذين سيظلان وفيان له
أبد الدهر ، ما هو أكثر تقدير يستحقه أكثر من هذه الشعلة
المضاءة على مشواه الأخير ؟ لقد ذكر خلال خطابه الإفتتاحي
إثر تسلمه مقاليد السلطة شيئاً عن النار و النور (في التاريخ
الطويل للعالم لعبت أجيال قليلة من البشر دورا مهما في
الدفاع عن الحرية و هي تواجه في الوقت ذاته الخطر الداهم
عليها ، و أنا لن أتخلي عن مسئوليتي نحو الحرية بل أرحب
بها أكثر من ذي قبل ، لا أعتقد أن أيا من شعبنا سيغير مكانه
بشعب آخر أو جيل آخر ، لأن طاقة الإخلاص و الولاء

^{٣٦} محرر أمريكا من الإستعمار البريطاني عام ١٧٧٦م و أول رئيس لجمهوريتها (١٧٩٠-١٧٩٨م) (المترجم) .

للوطن ستظل هي المثل الأعلى لنا الذي سيقودنا إلى الدرب
المنير لبلاذنا و جميع من يخدموها ، فالوهج المشتعل من
نارها سينير بقية العالم بأسره أيضا) .

(النهاية)